ماذا تفعلُ؛

إذا اقتربَ أجلُكَ ؟

وتقارَبَ الزمان ، وكَثُرَت الفِتن ؟!

قالَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ)

أخرجه مسلم

إعـداد

أســامة بدوي

(الطَّبعة الأولى)
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧ م

رقم الإيداع: ٥٦٣٠ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي: ٥- ٠٤٩- ٧٤٢- ٩٧٧- ٩٧٨

مكتبة البلد الأمين: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:
مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤
دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢
٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

▫ تمهيد:

• ماذا تفعلُ إذا اقْتَرَبَ أجَلُكَ وكَبُرَ سِنُّكَ وقَلَّ عُمُرُكَ ؟!

• ماذا تفعلُ وأنتَ تَقضي بقيَّةَ عُمُرِك في زمنٍ نُزِعَت البرَكَةُ فيه من الوقتِ ؟!

• ماذا تفعلُ والأجلُ قريبٌ،

والزَّمان زمان فِتْنَة تدع الحليم حيران؟!

(الجواب في طيّات هذه الرسالة)

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾

(سورة هود)

❀ ❀ ❀

أولاً: إذا اقتربَ أجلُك؟

لو فرضنا أنَّ الميِّتَ الآن قلنا له عُدْ إلى الدنيا ساعة، فماذا يَفعَلُ في تلك السَّاعَة؟

- والميِّتُ لن يعود، ولكننا أنا وأنت نَمْلِكُ هذه السَّاعَة فماذا نحن فاعلون فيها؟!
- كلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، والليلُ والنهار مطيَّتان يُقرِّبان كل بعيد، ويُبليان كل جديد، ويُفنيان كل موجود.
- أجلُك قريبٌ جدًّا، كقُربِ وقت نومِك، فالنوم هو الموتَةُ الصغرى، تفارِق الروحُ الجسدَ، وقد يُمسِكها الله تَعالَى فيموتُ المرءُ وهو نائم.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الزمر: ٤٢)

• إِنَما عُمُركَ أيام مجْتَمِعَة، إذا ذَهَبَ بعضُها ذَهَبَ كلُّها. ولِكُلِّ أجلٍ كِتَابٌ، موعد محدَّد، لا يُتقدَّم عليه ولا يُتأخَّر.

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأعراف). ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الواقعة). ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ فإليه سبحانَه المرْجِعُ والمآل والمصير.

• الإنسان يَقِلُ في العُمر وهو قَدْرُ مُكوثه في الدنيا، ويَكبرُ في السِّنِّ، واليومُ الذي يَمضي إذا لم يَغْتَنِمْهُ الإنسان فإنه لن يعود إلى يوم القيامة.

• وأجَلُكَ قريبٌ في زمان كَثُرَ فيه مَوتُ الفَجْأَة (البغتة)، وهذا من علامات يوم القيامة.

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن).

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

(القصص).

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾

(الأنبياء).

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

(آل عمران: ١٨٥).

• وما مِنْ جَنينٍ في بَطْن أمهِ، إلا ويَبْعَثُ اللهُ لَهُ مَلَكًا [فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ](١).

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٣٠٢٨)، ومسلم، ح (٢٦٤٣).

ماذا يَعْني الموت؟

• **المَوتُ:** يَعْني أنك ستُفارِقُ أهلك وجيرانك وأصدِقَاءَك وعَشِيْرَتِكَ وأموالك وقُوَّتِكَ ومؤيِّديك.

• **المَوتُ:** يَعْني أنك ستكون وحيدًا بعد دقائق مَعدودة، ليس معك أنيسٌ، ولا جَليسٌ، إلا عَمَلُكَ الصالح.

• **المَوتُ:** يَعْني أن الجسد الذي قضيتَ عُمركَ كَلَّه في خدمته سوف يَؤُولُ إلى تراب، والرُّوحُ التي أهمَلْتَها ستؤول إلى بَقاء.

• **المَوتُ:** يَعْني انقِطَاعُ الأعمال، والاسْتِعْدَادُ للحساب والجزاء.

• **المَوتُ:** يَعْني كَسرَ جَبَروتكَ، وقَلْعَ غُرُورِك وآمالِك.

• **المَوتُ:** يَعْني انتهاء الحياة الدنيا والانتقالَ إلى الحياة البَرْزَخِيَّة اسْتِعْدَادًا للبَعثِ للحياة الأُخرَى.

• **المَوتُ:** يَعْني الانْتِقَالَ من العَمارِ والدُّورِ إلى الخَراب والقُبور.

• **المَوتُ:** يَعْني أنَّ ما بعدَه أَيْسَرُ منه إن كنتَ من الصالحين المصلحين، أو أنَّ ما بعدَه أشدُّ وأعْسَرُ منه إن كنتَ من الضَّالينَ أو الفاسقين أو المنافقين أو الكافرين.

• **المَوتُ:** يَعْني تَساوي الناس بعدَه، فلا فَرْقَ بين غَنِيٍّ وفَقِيرٍ، ووَزِيرٍ وغَفيرٍ، وعَظيمٍ وحَقيرٍ، ومَلِكٍ ومملُوكٍ، ومُديرٍ وأَجِيرٍ، وكَبيرٍ وصَغيرٍ، ورَجُلٍ وامرَأَةٍ.

• **المَوتُ:** يَعْني الحقيقةَ التي لا يُنْكِرُهَا أحدٌ، ولا يَجحَدُهَا مَخلوقٌ، ومع هذا غَفَلَ عنها الكثير، ولم يُفَكِّر فيها إلا القليل.

• **المَوتُ:** يَعْني قُرْبَ الرَّحِيل للآخرة .

قَرُبَ الرَّحيلُ إلى دِيارِ الآخِرَة ... فاجعَلْ إلهي خيرَ عُمْري آخِرَه

فَلَئْن رَحِمْتَ فأنتَ أكرَمُ راحِمٍ ... وبحارُ جودِكَ يا إلهي زاخِرَةْ

آنِسْ مَبيتي في القُبورِ وَوَحْدَتي ... وارْحَمْ عِظامي حِينَ تَبْقَى ناخِرَةْ

فَأَنا المُسَيْكِينُ الذي أيَّامُهُ ... وَلَّتْ بأوْزارٍ غَدَتْ مُتَواتِرَةْ

وتَوَلَّهُ باللُّطْفِ عِنْدَ مَآلِهِ ... يا مَالِكَ المُلكِ ورَبَّ الآخِرَةْ

• **المَوتُ:** يَعْني الوصول إلى الدار الحقيقية.

لا دَارَ للمَرْءِ بَعْدَ الموتِ يَسْكُنُهَا إلا التي كَانَ قَبْلَ المَوتِ يَبْنِيْهَا

فإنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ وإنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيْهَا

• وكان مِن دُعائِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلاةِ: [**اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَوَاتِيمَ عَمَلِي رِضْوَانَكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ**](١).

• **المَوتُ:** يَعْني السَّكَراتِ، والعَبَرَاتِ.

• **المَوتُ:** يَعْني لِقَاءَ الله تَعالَى، فمَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه.

• **المَوتُ:** يَعْني الحسرَةَ والنَّدامَةَ على ما ضاعَ وفَاتَ مِن العُمُر من غير طاعةِ الله تَعالَى أو نَفْعٌ لنَفْسِكَ أو غيرِكَ.

• **المَوتُ:** يَعْني خُروجَ الرُّوحِ وتسليمَ مَلَكِ المَوتِ: هذه

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ح (٩٤١١)، وابن السني في اليوم والليلة، ح (١٢١).

الرُّوحُ لملائكةِ الرحمنِ، إن كان صالحًا تَسَلَّمَتْهَا ملائكةُ الرَّحمة، وإن كان غير ذلك تَسَلَّمَتْهَا ملائكةُ العذاب.

• **المَوتُ:** أوَّلُ منازلِ الآخرةِ، والرجوعِ إلى الله ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ (الأنعام:٩٤).

• **المَوتُ:** يَعْني استيفاءَ أجَلِكَ ورزقِكَ.

• **المَوتُ:** يَعْني ارتِدَاءُ الأكْفَانِ، وفَقْدُ حَولِك وقُوَّتِكَ، وقَطْعُ الخُيَلَاء والعُجب والأماني.

• **المَوتُ:** نِهَايَةُ كُلِّ حَيٍّ، ولا بَقَاءَ إلا للحَيِّ القَيُّومِ، الملكِ الحقِّ، حِينَ يُنادي (**لِمَنِ المُلكُ اليومَ؟**) فلا يُجيبُه أحَدٌ.

• **المَوتُ:** هادِمُ اللذَّاتِ ومُفَرِّقُ الجَماعاتِ.

• **المَوتُ:** يَعْني حُضُورَ: النَّازِعَات غرقًا. والنَّاشِطَات نشطًا.

• **المَوتُ:** يَعْني نِهَايَةَ الدنيا، وبِدَايَةَ أَوَّلِ طريقِ الآخرَةِ، فمَن مَاتَ قامَتْ قيامَتُه.

• **المَوتُ:** أَقْرَبُ إلَيكَ مِن شِرَاكِ نَعْلَيْكَ.

• **المَوتُ:** هُوَ أكبَرُ المَصائِبِ ﴿**مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ**﴾.

• **المَوتُ:** الغَفْلَةُ عَنه هي سَبَبُ تَكَبُّرِ طَواغِيْتِ الأرْضِ، قال تعالَى: ﴿**وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩**﴾ (القصص).

وقال تعالَى: ﴿**ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١**﴾ (الأنبياء).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧**﴾ (المعارج).

وقالَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا فَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ وَلَا يُلْهِيَنَّكُمُ الْأَمَلُ، فَإِنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَإِنَّمَا بَعِيدٌ مَا لَيْسَ آتِيًا»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم (٨٥٢٢).

ثانيًا: إذا نزعت البركة من الوقت؟

أَخْبَرَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ عند قُربِ يَومِ القيامة [**تَكُونَ السُّنَّةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَالسَّاعَةُ كَضَرْمَةِ نَارٍ**](١).

• يَجتمِعُ مع عَدَمِ البَرَكَةِ في الوقتِ كَثْرَة المشاغل، وتكالبُ الحقوقِ والواجباتِ، وكَثْرَة المُطالباتِ، وانتشارُ الماديَّة في حياةِ الناس وتعامُلاتِهم.

البَرَكَةُ من الله يَعْني النَّماءَ والزيادةَ، ولا تكونُ إلا بالعمل الصالح من صِلَةِ الأرحامِ وإتقانِ الأعمالِ وصلاحِ الإنسانِ [**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**](٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ح (٨٩٠٤)، وبنحوه في المعجم الكبير، ح (٤٣٠)، ونعيم بن حماد في التفن، ح (١٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، ح (٢٠٦٧)، ومسلم، ح (٢٥٥٧).

• **وَنَزعُ البَرَكَةِ** من الوقت يَعْني اختصار الآجال، وسرعة انقضائها، والحيرة والتكالب على الدنيا، وقلَّة الورع في تحصيلها.

• **وَنَزعُ البَرَكَةِ** من الوقت يَعْني فوات كثير من الواجبات لم يُسعِفْك الوقت بأدائها.

• **وَنَزعُ البَرَكَةِ** أكثر ما يكون مع:

١- أصحاب الأماني.

٢- المسوِّفين أصحابِ (سوف أعمل).

٣- المرائين في أعمالهم.

٤- الغشَّاشين الذين يحبُّون أن يُحمَدوا بما لم يَفعلوا.

٥- الذين هُم عن الآخرة غافلون.

• **وَنَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني اضطرابَ الوقت، وعَجَلَته، وقلَّة الانتفاع به.

• **وَنَزعُ البَرَكَةِ** عن المسلم يَعْني نسيانَ الله تَعالَى له؛ لأنه لم يحفظ الله تَعالَى، وفي الحديث: [**احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ**

اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ..][1].

• **وما أجملَ قولَ القائل:** « إن لله عبادًا هانُوا على الله فعَصَوْهُ، ولو عَزُّوا عليه لعَصَمَهُمْ ».

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني عدمَ الشِّبَعِ، وعدم القَناعَةِ، وتؤدِّي إلى الشُّحِّ والبُخل والتكالُب على الدنيا.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني إيكالَ الله تَعالَى العبدَ لنفسِه، وفُقدانَه توفيقَ الله تَعالَى له.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني انتشارَ المعاصي وشُيوع الفواحِش، وكَثْرَة الرِّبا والمُرابين، والجَشَع والجَشِعين.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني كَثْرَة الهَرْج، والعبادةُ في الهَرْج كهجرةٍ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من الوقت يَعْني طولَ الزمن في أداء الأعمال؛ مما يَحُدُّ من رغباتك وطموحاتك.

---

(١) أخرجه الترمذي، ح (٢٥١٦).

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني وقوعَ علامات السَّاعَة فجأة، كخروج الشمس من مغربها والدَّجال ويَأجوجَ ومَأجوجَ... إلخ.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني كَثْرَة الحروب، وانتشار المجاعات، مع كَثْرَة المحاصيل إلا أنها لا تُسْمِن ولا تُغني من جوع، ولا تَكفي.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من العُمُر يَعْني اختصارَه وقُرْبَ انقضائه.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من الرزق يَعْني طلَبه بغير طاعة الله استعجالًا له.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من الأولاد يَعْني الشَّقاء، وسوءَ الأخلاق.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من الثمار والزروع والماشِية يَعْني أن لا طعمَ لها، ولا لذَّة فيها.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من العِلْم يَعْني أن يُطلَب لغير الله، وأن يكون مثارًا للجَدَل بدلًا من الفَهم والخشية والعمل.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** من الوقت يَعْني الحسرةَ على فَواته وسرعة

انقضائه.

- **ونَزعُ البَرَكَةِ** من الصِّحَّة يَعْني هلاكَها في أقلِّ عائدٍ من ورائها.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني عدمَ إتقانِ العِبادات، وتَلفيقَ المُعاملات؛ مما يؤدي إلى سوء الأخلاق.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني كَثْرَة التسوُّل والمسألة.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني الغَفلةَ والحَيرة والقَلَق والتردُّد؛ مما يؤدِّي إلى الاكتئاب.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني أن يَبيع المرءُ دينَه بعَرَض من الدنيا قليل.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني انتشارَ الوَهَن في جسَد الأمَّة، من حبِّ الدنيا وكراهية القتال في سبيل الله.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني التخبُّط، وفَقْدَ القدرة على ترتيب الأَوْلَوِيَّات والمُهمَّات.
- **ونَزعُ البَرَكَةِ** قد تدفع المرء إلى اليأس من عدم القدرة على إنجاز الأعمال.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** يَعْني تَثْبيطَ الهِمَّة، وَوَهَنِ العَزيمة.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ** قد يَعْني نزعَ الرحمة، ونزعُ الرحمة تحول النِّعَم إلى نِقَمٍ، بينما وجودُها يجعل النِّقَمَ نِعَمًا.

• **ونَزعُ البَرَكَةِ: هل يؤثِّر في الناس، أم هناك طائفة لا يتأثَّرون به ؟!**

والجواب: أن أكثر الناس ضررًا بنزع البركة من الوقت هم أهل الغفلة، الذين شَغلَتْهم المادية والدنيا، وطلابُها الحريصون عليها.

• أما الطائفة المنصورة الباقية من أمَّة النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والتي لا تزال على الحق، لا يَضرُّها مَن خالَفها ولا من خذلَها فهي أقلُّ الناس تأثُّرًا بذلك.

• وأهل الذِّكْر الذين يَذكرون الله تَعالَى قيامًا وقُعودًا وعلى جُنوبهم، يذكرونَه ليلًا ونهارًا، لا تمرُّ عليهم لَحْظَة إلا وهُمْ يُسبِّحون الله تعالى.

ثالثا: عند وقوع الفِتَن آخر الزَّمان؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**](١).

وعنه أيضا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**](٢).

وَعَنْه أَيضًا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَة فَالسَّاعَة أَدْهَى وَأَمَرُّ**](٣).

---

(١) أخرجه مسلم، ح (١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم، ح (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي، ح (٢٣٠٦)، وقال: حديث حسن غريب.

وعَنْ عَبْسٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: [**بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا**][1].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ هَرَمًا نَاغِصًا، وَمَوْتًا خَالِسًا، وَمَرَضًا حَابِسًا، وَتَسْوِيفًا مُؤْيِسًا**][2].

ففي هذه الأحاديث يأمر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته بالمسارعة في الأعمال الصالحة قبل وقوع هذه الفِتَن لهم، وهي:

١- كَثْرَة الردَّة في الدِّين بسبب غرض الدنيا.

٢- طلوع الشمس من مغربها، وعندها يغلق باب التوبة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٤٠).

(٢) أخرجه البيهقي في شُعَبِ الإيمان (١٠٠٩٠).

٣- الدخان (من علامات السَّاعَة الكبرى)

٤- الدابَّة التى تكلِّم الناس.

٥- خاصَّة أحدكم، والمراد ـ والله أعلم ـ انشغال المرء بخاصته وأسرته وترك أمر المسلمين وجماعتهم.

٦- التكلُّم في أمر العامة، والمراد أن يتكلم الرُّوَيْبِضَةُ والرجل التَّافِهُ في أمور المسلمين العظيمة.

٧- فقرٌ يشغل الإنسان، وينسيه أهم أمور وواجبات دينه.

٨- غِنًى يُغنيه ويشغله عن طاعة الله تَعالَى وذكره.

٩- مرضٌ يُقعده فيقطع عليه تسويفه بالطاعة.

١٠- هَرَمٌ: كبر السِّنِّ الذى يجعله يخرف في الكلام.

١١- الدَّجَّال: وهي فِتْنَة طامَّة، وهو شرٌّ غائب يُنتظر.

- وقد تأتي العَطايا والمِنَح من الله تَعالَى في صورة بَلايا ونِقَمٍ.
- والبَلاء يكون لِمَعْرِفَةِ المسلم الصادق من الكاذب، ويكون لِمَعْرِفَةِ المؤمن من المُنافق.

١٢- السَّاعَة، وتأتي فَجْأة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [...**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَة وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ. ولتقومَنّ السَّاعَة وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لقْحَته فَلَا يَطْعَمُه. ولتقومَنّ السَّاعَة وَهُوَ يَلِيط حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ. ولتقومَنّ السَّاعَة وَالرَّجُلُ قَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا**][(١)].

١٣- إمارَةُ السُّفَهاءِ: أن يَصِل إلى الإمارة مَن لا خَلاق له، ومَنْ لا يُؤتَمَن على دين الناس ودُنياهم.

١٤- كَثْرَة الشُّرَطِ: وهو دليل على اتِّساع دائرَةِ الظُّلم والقَهر والاستِبداد.

١٥- بَيْعُ الحُكْمِ: كما يَحدث الآن في شِراء أصوات الناس في الانتخاباتِ (إن جازَتْ شرعًا)، وقد يَعْني توارثَ المُلك

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٥٠٦).

(فِتْنَة السَّلاطين).

١٦- استِخفافٌ بالدَّم: فلا يَدري القاتل فيمَ قَتَل، ولا المقتولُ فِيمَ قُتِلَ.

١٧- قَطيعةُ الرَّحِم: وهي أعظم دليل على الإفساد في الأرض، وما أكثرَها هذه الأيام.

١٨- نَشْؤٌ يتَّخذون القرآن مَزامير: يَقرءون القرآن لغير الله تَعالَى، ولِنَيل مَدح الناس.

١٩- فِتْنَة النِّساء: وهي أكبر فِتْنَة خاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها على رجال أمته.

٢٠- فِتْنَة المال: أيِ التنافُسُ على الدنيا، وهو الذي أهلك مَن كان قبلَنا.

٢١- فِتْنَة المَحبوبات: من اللِّباس والشُّهْرَة، ومحبَّةِ التِّجارَة والدُّولار والأولاد.

٢٢- فِتْنَة الشُّبُهات: وهي من أخطَرِ الفِتَن على العقول،

ولا تُدفَع إلا بالعِلم.

٢٣- فِتْنَة الشَّيْطان: حيثُ يَرانا هو وقبيلُه من حَيث لا نَراهُ.

٢٤- فِتْنَة علاماتِ السَّاعَة الكُبْرى.

٢٥- فِتْنَة الدُّهَيْماءِ والأَحْلاسِ والسَّراءِ.

◘ ومن الفِتَن الملتبِسة على كثير من الناس:

- كَثْرَةُ الفِرَق والجماعات والأحزاب، والتِباسُ الحق بالباطل بينهم.
- عُلُوُّ النِّفاق وظُهورُه وسِيادتُه.
- التِباس الكُفر والشِّرك على الناس.
- غَلَبَةُ أهل الكُفر والباطل.
- كَثْرَةُ الدُّعاةِ على أبوابِ جهنَّم.
- فُشُوُّ الجهل على العِلم، وتقارُب الأسواق، ونَشْرُ القلَم، وقَبْضُ العُلَماء، ونطق الرُّوَيْبِضَةِ والمُتَفَيْهِقَة والمُتَهوِّكة.
- إعجاب المرءِ برأيه، والفتوَى بغير عِلم، فمَن تكلَّم في

غير فَنِّه أَتَى بالعَجائب.

• غِياب جماعة المُسلمين وإمامِهم وتفرُّق كَلِمتهم، واشتِداد بأسِهم بينهم.

والفِتَن تقَعُ للاختِبار والابتِلاء والتمحِيص، والبَلاء يكون لتكفيرِ الذُّنوب ورفعِ الدَّرَجات، وللتَّرْبيَة والعَودة إلى الله تَعالَى، ويكونُ بالنِّعَم كما يكون بالنِّقَم للتثبيت والتمحيص والتمييز.

▫ ومن البَلاء:

• قِلَّة الثَّبات على الدِّين ـ مع أهميته ـ في هذا الزَّمان حتَّى أصبحَ ثمينًا وغاليًا، [**أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةَ**](١).

• صُعوبَة طلَب الحلال وتحرِّيه.

• انتشارُ العَصَبيَّة والتعصُّب.

---

(١) أخرجه الترمذي، ح (٢٤٥٠)، والحاكم، ح (٧٨٥١).

- صُعوبة تربية الأبناء على الصَّلاح والإصْلاح.
- بَلاءُ الرجل في أهله وولده وماله.
- كَثْرَةُ الأمراض والأَوْبِئَة والأطعمة والأشرِبة الفاسدة، وتلوُّث الهواء والبيئة والأخلاق.
- بَلاء الرِّبا وانتشاره، والزِّنا وشيوعه.
- فُقدان الإحساس بالأمن.
- كَثْرَةُ الموت فَجأة.

* **للتوسع في هذا الموضوع يرجع إلى كتاب: (بداية النهاية) لابن كثير، وكتابنا: (الفِتَن والملاحم وأشراط السَّاعَة).**



رابعًا: المبشرات:

لاشكَّ أن مَن يعلم ما ذكرناه آنِفًا من الفِتَن قد يجعل اليأس والقُنوط يتسرَّب إلى نفسه، لذلك ألحقنا هذا الباب مباشرة حتَّى تُدرِكَنا رحمةُ الله تَعالَى، ونتفاءَل ونستبشِرَ بالمبشِّرات.

• مِن نِعَم اللّه تَعالَى في البَلاء:-

- أنْ يَشْهَدَ العبدُ في هذا البَلاء عِزَّ الربوبيَّة وهيمنتَها، وذلَّ العُبودية وانكسارَها.
- مَعيَّة الله تَعالَى للمبتلَى.
- محبَّة الله تَعالَى للمبتلَى.
- مُرافقة الملائكة للمبتلَى تؤمِّن على دعائه.
- أنْ يَعْلَمَ من أين أُخِذ فيَتوب.
- أنْ يَشْهَدَ فيه نِعمة العَون من الله فيَصبر.
- أنْ يَشْهَدَ فيه رحمةَ الله تَعالَى به وحكمتَه في هذا البَلاء.

- أنْ يَشْهَدَ مشيئةَ الله تعالى. فما شاءَ الله كانَ، وما لَمْ يَشأ لم يَكُن، وأنْ يَعْلَمَ أنه عبدٌ لله تَعالَى تَجري عليه أحكام سيِّدِه ومَوْلاه.

- مَشْهَدُ الرَّحمة؛ فالله تَعالَى أرحَم به من رَحمة الأم بولدِها، وهو أرحُم الرَّاحمين.

- مَشْهَدُ الحِكمة، فهو سبحانَه أحكمُ الحاكمين، ومن حِكمته سبحانَه أن تكون العَطايا والمِنَح في صورة البَلايا والمِحَن.

- مَشْهَدُ الصَّبر والرِّضا بقضاء الله.

- مَشْهَدُ محبَّة الله تَعالَى لعبده إذا ابتلاه، وأنه سبحانَه ما ابتلاه إلا ليَأْجُرَه ويقرِّبه منه، ويَحميه ويربِّيه ويزكِّيه.

- فلا تَعُدَّ سَلْب الله تَعالَى نعمةً أنعمَها عليك بُخلًا منه؛ كلا؛ إنما سلَبَها ليَحميك، وليربِّيَك، وليُعطيَك، وليرفعَ درجاتِك، ويكفِّر عن سيئاتِك، فهو سبحانَه الجوَّاد الكريم.

❁ ❁ ❁

◘ ومن المبشرات:

١- أن النبيَّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول البِشارة، قال تَعالَى ﴿ **إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا** ﴾(البقرة: ١١٩).

٢- أنه أمَر بالبِشارة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا**][(١)].

٣- أنه بشَّر أصحابه وهم يُعذَّبون بمكةَ بالنصر وحُصول الأمْن والتمكين، وبالنصر على الدُّول الكُبرى عند حَفر الخَندق، ولِسُراقَةَ وهو يُطارِده بسوارَيْ كِسرَى.

٤- بشارَته لأمَّته عند ذكر أحداث السَّاعَة كبِشارته بكلام الحَجَر والشَّجَر عند قتال اليهود، وبِشارته بفتح القُسْطَنْطِينِيَّة، ورُومِيَّةَ، وبِشارته بالعِزِّ والتمكين والرخاء لأهل الإسلام في آخر الزَّمان، وبِشارته للصابر وقت الشدائد بأجرِ خَمسينَ من الصحابة.

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٩).

٥- بِشارَته ببقاء الطائفة المَنصورة حتَّى قيام السَّاعَة، وتوالي المجدِّدين لدين الأُمَّة على رأس كلِّ مائة عام.

٦- بِشارته لهذه الأُمَّة أنهم شُهداء الله في الأرض، وأنهم الآخِرون في الأمَم، الأوَّلون في دخول الجَنَّة يوم القيامة.

٧- بُزوغ الأمل من رَحِم المُعاناة والألم، فالنفَق المظلِم الذي دخلت فيه الأُمَّة بسبب تهاوُنِها قد اقترب من نهايته، وخاصَّة عندما تَرتقي الأُمَّة للدرجة المطلوبة للنصر وِفْقَ سُنَّة الله.

٨- إفلاس أهل الباطل من إشباع الجانِب الرُّوحي الذي هو أصلٌ من الطبيعة الإنسانية، وإغفالُه يمثِّل ضَياعًا أكيدًا لأهم مَعلَم من معالم البشريَّة، ويَترتَّب عليه خَواء وعطش شديد لا يَرويه إلا رسالة الإسلام الحق.

٩- بل تعدَّى الأمرُ من الإفلاس إلى الإغراق في وَحْل المُوبِقات والمُنكَرات والفواحش والمخدِّرات والجريمة، وانتشار البُنوك الرِّبويَّة ودُور القِمار ونوادي العُراة، وأصبح

شعارُهم (لا تؤثِّمْنِي)؛ لأن المسيح قد حمَل كل آثامِكم، وهم بذلك هدَموا كل تعاليم المسيح، وألبَسوا ديانتهم ومجتمعاتِهم تُكنولوجيا الانحِطاط التي تدمِّر الأمَم والشعوب.

١٠- هذا الدِّين ورسالته وأهلُه في كَفالة وحَصانة من الله تَعالَى، ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨** ﴾ (الفتح).

١١- وحُسنُ العاقِبة هو حَليفُ الحق وأهلِه ﴿ **فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩** ﴾ (هود).

١٢- حالة الاستِيئاس عند أهل الحق هي عَلامةُ الفرَج وبُشرى النصر، كما قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠** ﴾ (يوسف).

١٣- الوَعْدُ بالخِلافَة الراشِدة، خِلافةٌ على مِنهاج النُّبوَّة تأتي بعد مَرحلَة الحُكمِ الجَبْري الذي تَحياه الأمَّة الآنَ.

▫ موقف المسلم من الفتن:

١- الاعتصامُ بالكتاب والسُّنَّة؛ فهما حِرْزٌ من الفِتَن، بدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**][(١)].

٢- تَرْكُ الغُلوِّ والتنطُّع والقول بلا عِلم.

٣- الصبر واليقين، فبِهما تُنال الإمامة في الدِّين، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة).

٤- تجنُّب فِتن الشَّهوات والشُّبُهات وتقييدُها، فقَيْدُ الشَّهوات الصبرُ، والبُعد عن مواطنها، وتجنُّب صُحبة السُّوء التي تَدعو إليها، وقَيْدُ الشُّبُهات اليَقين والعِلم.

٥- الترخُّص في العُزلَة عند الفِتَن، وتجنُّب الحرام، والإكثار من العِبادة، ولُزوم البيت فهو حِرزٌ من الفِتَن.

---

(١) أخرجه مسلم، ح (٨٠٩).

٦- كفُّ اليَد في الفِتْنَة، بأن لا تشارك فيها بقول أو عمل، بل تعمل على دَرْءها، والتوقِّي منها.

٧- أن تعمَدَ إلى سيفك فتكسِرَه، وتكونَ كخَيْرَي ابنَيْ آدم.

٨- أن تتحصَّن بالذكر والدعاء، وصِدْق اللُّجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقيام الليل؛ فسِهام اللَّيل لا تخطئ أبدًا.

سِهامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي ولَكِنْ لَهَا أَمَدٌ ولِلأَمَدِ انقِضاء

٩- أن تحرص على العمل بنصيحة العلماء الربانيين من أهل السُّنَّة، وتعملَ على نشْرِها بين الناس.

١٠- أن تبادِرَ بالأعمال الصالحة قدر استطاعتك، ففِيها وِقايَةٌ لك من الفِتَن.



▫ خامسًا: العلاج:

ماذا تفعلُ إذا اقترب أجلُك، ونُزِعت البَركةُ من وقتِك وعمرِك، وكَثُرَت الفتن؟

• الجَواب:

أولاً: أن تكون بخيلًا في إنفاق لَحْظَة من عمرك في غير طاعة لله تَعالَى، أو نَفْعٍ يعود عليك وعلى المسلمين بالخير.

فالوقت أغلَى من المال، وهو الذي يأتي به... وكما قالوا: (عمُرُك أيامٌ مجتمِعةٌ إذا ذهبَ بعضُه ذهبَ كلُّه).

- والإنسان يَقِلُّ في العُمُر (المدة الباقية له في الدنيا)، ويكبُر في السِّنِّ. والذي سبق إلى الجنان إنما سبقك بالاستفادة من الأوقات المُهدَرة عند غيره.

ـ الاستفادةُ بالأوقات، ووَضْع سُلَّم أولِيَّات لإنفاق الوقت، والحذَرُ من التمادي في المباحات أو اللَّهْوِ المُباح، فأنت مخلوق في الدنيا لكي تَجمع أكبَر قدر من الحسَنات تَنْجو بِهِ ـ بعد فضلِ الله ورحمتِه عليك ـ من الخُسران والنِّيران.

- لا يَندَمُ أهل الجَنَّة يومَ القيامة على شيء إلا على لَحْظَةٍ مرَّت عليهم ولم يَذْكُروا اللهَ تَعالَى فيها.

وما من عبدٍ مرَّت عليه لَحْظَةٌ لا يذكُر الله تَعالَى إلا كانت عليه تِرَةً (أي حَسْرة ونَدامة)، كما ورد في الحديث[1].

ـ تقول في لَحْظَةٍ: (**سبحانَ اللهِ وبحَمدِه**)؛ تُزْرَع لك نخلةٌ في الجَنَّة، فكم فَقَدْتَ من النَّخل في الجَنَّة بسبب الغَفلة ؟!

فإذا قُلتَ: (**سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبر**) كان لك بها غِراسٌ في الجَنَّة كلما قُلْتَها.

- لا تُبالي بأيِّها بدأتَ ـ تمتلِك بها فَدادِين في الجَنَّة.

ـ لَحْظَة تُصلِّي فيها على النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيصلِّي الله تَعالَى بها علَيك عَشرًا، ويَردُّ عليك السلامَ الحبيبُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُذهِب الله تَعالَى بها همَّك ويفرِّجُ كربَك.

---

(١) أخرجه أبو داود، ح (٤٨٥٦)، والترمذي، ح (٣٣٨٠)، والنسائي في الكبرى، ح (١٠١٦٤)، وغيرهما بسند صحيح.

- لَحْظَة تقول فيها (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**)، يُرْفَع لك بها درجة، وتُحطُّ عنك خطيئة، وتُكتَب لك عَشرُ حسَناتٍ، وتأتي ذلك اليومَ أفضلَ الناس، إلا مَن قال أكثرَ منك.

- لَحْظَة تستغفِر الله تَعالَى فيها فتنال بها: محبة الله، ويَفرح بك، ويمتِّعك متاعًا حسنًا، ويَزِيدك قوة إلى قوتك، ويُمِدُّك بأموال وبنين، ويَغفر بها ذنبك، وتَغيظ بها الشيطان.

- لَحْظَة تقرأُ فيها آيةً من كتاب الله تَعالَى يُكتب لك بكل حَرف عشرُ حسَنات.

- لَحْظَة تَشعُر فيها بالنَّدَم على المعاصي، وما فاتَ من العمُر هباءًا منثورًا.

- لَحْظَة تحاسِب فيها نفسك على ما فات وانقضَى من عمرِك بمساوِئه ومحاسنه، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا»(١). وكم من أناسٍ على مرِّ الدُّهور حاسَبوا أنفسَهم فتغيَّرت أحوالُهم من المعاصي إلى الطاعات، فنجَحوا وفازوا، وغيَّر الله تَعالَى ما بهم مما يَكرهون إلى ما يُحبون.

- يحاسِبون أنفسَهم على التقصير في الطاعة، وعلى المخالَفات والمعاصي، فيَشعُرون بالندمِ، والندمُ توبة، ويُحسِنون ويُصلِحون حتَّى يكونوا من الصالحين المُصلحين، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾ (الروم)، فلا فائدة من الصلاح بدون إصلاح.

- لَحْظَة تتمنَّى فيها لقاءَ الله تَعالَى، فإنه [مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ

---

(١) انظر: سنن الترمذي، ح (٢٤٥٩)، وبنحوه في مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٥٩).

اللهَّ أَحَبَّ اللهُّ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهَّ كَرِهَ اللهُّ لِقَاءَهُ](١).

- لَحْظَة تتمَنَّى فيها نُصرَة الدِّين والدِّفاع عنه والشَّهادة في سبيلِ الله تَعالَى، وتسعَى إلى ذلك قَدر الْمُستطاع ما وجَدت لذلك سبيلًا شرعيًّا. [**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**](٢).

- لَحْظَة تشعر فيها بذاتِك وأهميَّتِك، وأنَّك لم تَشغَل حيِّزًا في الدنيا فقط؛ بل لابد أن يكون لك شأنٌ ودَورٌ في خدمة الإسلام ونَفْع المسلمين، والعمل على عزَّتهم ورِفعَتِهم، تقاوم فيها الباطلَ وتجاهد أهلَ النِّفاق والشِّقاق، وتأمر بالمعروف، وتنهَى عن المنكر، وتعاهِد الله على النصح لكل مسلم.

- لَحْظَة تحِرص فيها على صلَة الأرحام، وبِرِّ الوالدِّين،

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٥٠٨)، ومسلم، ح (٢٦٨٣).
(٢) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، ح (١٩٠٩).

وفِعل الخيرات، وتَرْك المُنكرات، وتَرْك وهَجْر أصحاب السُّوء، وأن تكون من الطائفة المنصورة والتي ظهرَت بالحقِّ وثبتَت عليه، لا يَضرُّها مَن خالَفها ولا من خَذلها حتَّى تقوم السَّاعَة.

ثانيًا: النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضع لنا الجواب عن السؤال:

ماذا تفعل لو اقترب أجلك وتقارب الزَّمان وكثرت الفِتَن؟

قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**](١).

وهنا يُرشِدنا الصادق المصدوق إلى العمل الصالح كعِلاج للاستِفادة مما بَقِي من العُمُر، عند تقارُب الزَّمان، وكَثْرَة الفِتَن، فالعمل الصالح حِرزٌ من الفِتَن، فلابد من العمل، فلا مَجالَ وقتَئِذٍ للكُسالَى وأصحاب الأماني الكاذبة

---

(١) سبق تخريجه، ص (١٨).

والمتواكلين، ولابد للعمل أن يكون صالحًا، وذلك إذا وافق الشرع، وكان خالصًا لوَجه الله الكريم، وأدَّاه صاحبُه بعزيمة صادقة، وشوقٍ إلى الله تَعالَى، وحِرص على الأجر في الآخِرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ (الضحى).

فالعملُ المخالِف للشرع بشيء حرَّمه الله تَعالَى أو نهَى عنه أو حذَّر منه لا يُعتَدُّ به، ولا يصلح بل هو من الوَبال على صاحبه، وهو سببٌ في الفِتَن، وضياعٌ للوقت والعمر؛ بل هو أعظم سارق للوقت، ومن ثَمَّ للعُمر.

والعمل الذي يوافق الشرع ولكن يصحَبُه الرياء وحبُّ الظهور، أو انتظار مَدح، أو النظر لشُهْرَة أو مَنصِب أو مال، أو يُصاب صاحبُه بالعُجْب والغُرور، لا يُعَدُّ من العمل الصالح؛ لأن الرياء يُحبط العمل، فلا أجر عليه في الآخرة، ولا قبولَ له عند الله تعالى.

❁❁❁

◘ نماذج من العمل الصالح:

أفضلُه على الإطلاق ما كان نابعًا من إيمان بالله ورسوله، ثم الصلاةُ لوقتها، ثم جهادٌ في سبيل الله، ثم بِرُّ الوالدَين، وصِلَةُ الأرحام، وكَشف الكُرُبات وتفريجُها، والرحمة بالأرملة والمسكين والمصاب، وكَفالة الأيتام عِلْميًّا وتربويًّا وماليًّا، والإنفاق على الدعوة إلى الله تَعالَى بكَفالة أهل القرآن والحديث، وطلبةِ العلم الشرعيِّ، وحتَّى المعارف الأُخرَى، وطَبعُ الكتب الشرعية اللازمة لمِهمَّات الأمَّة وبنائها عقائديًّا وتربويًّا، ومساعدة الفقراء والمساكين وابنِ السَّبيل.

- **ومِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ:** العمل على رفعة الإسلام وعزَّة المسلمين وعلوِّهم بإيمانهم، والولاء بينهم، والعمل على وحدتهم وتآلفهم، ودعوتهم للتحاكم إلى الله ورسوله، ونشر السُّنَّة وعلومها عملًا وقولًا وسلوكًا.

- **ومِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ:** الاهتمام بأطفال المسلمين وحمايتهم

من التنشئة الغربية وحملات الغرب بتضييع أوقاتهم ودينهم أمام الكرتون والمسلسلات والإعلانات.

- **ومِنَ العَمَلِ الصَّالِح:** حِمايةُ الأمَّة ومقدَّراتِها من الغَزو الاقتصادي، مما يسمَّى بالمُوضَة والمودِيلات، واحتقارِ اللغة العربية، والتفاخُرِ باللُّغَات الأجنبية، والتي امتلأت وازدَحَمت بها شوارع البلاد ومحلاتها، كأنَّك تَسير في لندنَ أو باريسَ مع الفارِق بين رذائِلهم التي انتقلَتْ إلينا وفضائِلنا التي انتقلَتْ إليهم.

وأنا أدعو كلَّ مسلم غيُورٍ على دينه، ولغتِه العربية التي هي أفضلُ وأقوى وأدومُ لغةً على وَجْهِ الأرض أن يقاطِع كلَّ محلٍّ أو دكَّان أو سوق يكتُب ويعلِن عن نفسه باللغة الأجنبيَّة.

ورحِم الله الإمامَ الشافعيَّ الذي كان يَعُدُّ الرَّطانَة بلُغَةٍ غيرِ العربية من الخَلل في العَقيدة وضَعف الإيمان، والتنازُل عن الهُوِيَّة الإسلامية التي صبغَنا اللهُ تَعالَى بها،

كما قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (البقرة).

- **ومِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ:** أن تحمِل همَّ هذه الأمَّة، وتتألَّم لألَمِها، وتسعَد لسعادتها، وكما قيل: « مَن لم يَحمِلْ هَمَّ المسلمين فلَيس مِنهم ».

- **ومِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ:** رفضُ الدَّنِيَّة، وأن يقلِّد الأدنَى الأعلى، فكثير من شباب المسلمين يُسارِعون في التشبُّه وتقليد بعض المشاهير من الكُفَّار من لاعبي الكرة، والمغنيِّين والممثِّلين وغيرهم، ويتناسَون أنهم هم الأعلَون بإيمانهم بالله تَعالَى، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمران).

❁ ❁ ❁

▫ العمل الصالح المتميز:

وهذا العمل الصالح المتميِّز هو أنفع علاج، ولا يقوَى عليه إلا أهل التُّقَى والصلاح، وإليكَ بعضَ الأمثلة:

المثال الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: [**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**](١).

فمَن منكم هذا الرجل؟

المثال الثاني: قَبول الطاعات والأعمال موقوف على المتقين. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴿٢٧﴾﴾(المائدة).

ولقد ذكر الله تَعالَى من صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنَّة في قوله تَعالَى ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ**

---

(١) أخرجه مسلم، ح (٢٥٥٨).

﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ (آل عمران).

فمَن هُمْ؟ قال تَعالَى بعدها: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾. **فمَن منكم هذا التقي؟**

• إنَّه الذي يُنفِق في كل أحواله في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، والذي إذا ناله أذًى من أرحامه أو إخوانه أو أصهاره أو جيرانه أو الأمراء كَظم هذا الغيظ، وصفح ودعا، ثم أحسَن إلى مَن أساء إليه، لأنه على عِلم والتزام وفهم وعمل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ (فصلت).

• وهو الذي يَعِي الرَّابِطة الإيمانية وحقوقَها، وكذلك واجبات الأخوَّة في الإسلام، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. يَعرِف مَن أهل الإيمان فيخفِض جناحَه ذليلًا عليهم، ويَعرِف مَن أهل الكُفْران، فيظهر لهم بعزَّة أهل الإيمان التي كتبها الله لهم، وهو من الذين وصفهم الله تَعالَى بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

- هو مَن لديه الوَعْي والالتزام بهذا، وليس من أصحاب الانتكاسة في الدِّين، والذين صاروا أشداءَ على المسلمين، جُبَناءَ ضُعفاءَ أذلَّاء أمام الكافرين.
- **مثل هذه الأعمال المتميزة من أنفع الوقاية من الفِتَن، وهي حِرزٌ قدَريٌّ منها.**

ثالثًا:- الاهتداءُ إلى الصراط المستقيم بمخالفة أصحاب الجحيم، والالتزامُ بالكتاب والسُّنَّة شِرْعةً ومِنهاجًا، فهذا من أعظم الأَحْراز وقتَ الفِتَن، ومن ذلك على سبيل المثال حِفظ عشْر آيات من سورة الكهف، فهي واقيةٌ من فِتْنَةِ الدَّجَّال.

عَشْرُ آيات فقط!، فما ظنُّك بمَن حَفِظ ووَعَى وعمِل

بأكثرَ من ذلك؟!

والتميُّز باتِّباع الصراط المستقيم هو سِمَةُ المسلمين الأساسية، وصِبغة الله لهم وهويَّتهم المتميِّزة عن سائر الأمَم.

والصراطُ المستقيمُ: هو الإسلام، والإيمان بما في القرآن الكريم.

والتميز في السُّنَّة باتِّباع النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه الذين سبقونا على هذا الصراط، وهُمْ على خَيلٍ دُهْمٍ بُهْمْ (جيدة قوية)، ثم تبعهم التابعون لهم بإحسان كل على حسب قوة اتِّباعه ووَلائه للحق، والمهمُّ أن تكون على الصراط، وإن كنتَ في آخِر الرَّكْب فسوف تَصِل إلى أوله يومًا ما بفضل الله وتوفيقه.

واتِّباع السُّنَّة: حِرزٌ من الفِتَن، ووقاية من الزيغ.

قال الصديق أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي

أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ »(١).

قال ابنُ بَطَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هَذَا يَا إِخْوَانِي الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ الزَّيْغَ إِنْ هُوَ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ زَمَانٍ أَضْحَى أَهْلُهُ يَسْتَهْزِئُونَ بِنَبِيِّهِمْ وَبِأَوَامِرِهِ، وَيَتَبَاهَوْنَ بِمُخَالَفَتِهِ، وَيَسْخَرُونَ بِسُنَّتِهِ؟ نَسْأَلُ اللهَ عِصْمَةً مِنَ الزَّلَلِ وَنَجَاةً مِنْ سُوءِ الْعَمَلِ »(٢).

هذا التميُّز بالكتاب والسُّنَّة يَحميك مِن فَقْدِ الهويَّة، والوقوع في مُستَنقَع التشبُّه بالكفار وتقلِيدهم، ويَحفظك من سُبُل المغضوب عليهم والضَّالين.

رابعًا- الحِرْصُ على دَرْء المفاسد، والاهتمام بفقه الموازَنات والأولويَّات، مع عدم تحقير شيء من المعروف،

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٣٠٩٣)، ومسلم، ح (١٧٥٩).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، رقم (٧٧).

والمسارعةُ والتسابُقُ في فعل الخيرات ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

خامسًا:- التعلُّق بالله عَزَّوَجَلَّ والشَّوقُ إليه، والتفكُّر في الدار الآخِرة، والتخلُّص من إرادة الدنيا وعِشقها والتثاقُل إلى الأرض.

وكان من دُعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**][1].

سادسًا:- حَمْلُ هَمِّ الدعوة إلى الله تَعالَى وهداية الناس، ودعوتُهم إلى تعلُّم العِلم الشرعي؛ لأنه حِرزٌ من الفِتَن، كما أنه يُورِثُ اليقظة في قلب العبد، ويطردُ عنه الغَفلة عن الله تَعالَى وذِكْرِه، كما يُورِثه اليقين الذى يُنافي الشكَّ، والقَبول الذي يُنافي التَّرْكَ، ويُورِثُه محبة الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) أخرجه النسائي، ح (١٣٠٥)، والحاكم، ح (١٩٢٣).

فيجعله لا يَقبل إلا ما يُحِبُّ، ولا يُحِبُّ أن يَراه ربُّه تَعالَى إلا فيما يُحِب.

سابعًا:- الحِرص على التخلُّق بأخلاق الإسلام من الموالاة والمعاداة في الله تعالَى، والحبِّ في الله والبغض فيه، والحِلم والأَناة، وبَسط الوجه وطول اليد.

وأخصُّ من ذلك خلق الحياء من الله تَعالَى والخوف منه؛ لأنهما زِمام التقوَى، وخُلُق الصبر والكَرم والزهد في الدنيا، وغضُّ البَصر عن الحرام، وخُلُق العَفو والصَّفح والتسامُح، والقوةُ في أخذ هذا الدِّين، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**][(١)].

وزِمامُ ذلك كلِّه التمسكُّ بخلُق الإيمان بالقَدَر، والرِّضا به، وعدم التسخُّط والضَّجَر، مع التفاؤل وطردِ شَبَح

(١) أخرجه مسلم، ح (٢٦٦٤).

اليأس والقُنوط.

ثامنًا:- التعامُل بالمعامَلات الإسلامية، فلا يرضَى عنها بديلًا، فالدِّين تعامُل مع الله عَزَّوَجَلَّ، وتعامُل مع الخَلق، فلا يرضَى بغير ما شرع الله تَعالَى من الحلال الطيِّب وتَرك الحرام الخبيث، والحِرص على الصدق والإخلاص، ومحاربة الرِّبا والجشَع والطمَع والحِرص على الدنيا والحسَد، وتَرْك ظلم الناس والطمعِ فيما عندَهم أو فيما في أيديهم فإنه الفَقر، والغِنَى بما عند الله تَعالَى، والقَناعة والرِّضا بما آتاه الله تعالى.

تاسعًا:- العبادة في الهَرْج، والمراد بالهَرْج: الفتنة واختلاط أمور الناس، وكثرة القتل، وهو من علامات يوم القيامة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: [**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**] (١).

وسببُ كثرَة فضل العِبادة فيه أن الناس يغفُلون عنها، ويصيبهم الفزع والهلع، ولا يتفرَّغ لها إلا من رحم الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، ح (٢٩٤٨).

وأصلُ العبادة الصلةُ بالله تَعالَى، والتقرُّب إليه ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾؛ مما يَعود على العبد بالسَّكِينة وراحَة البالِ وقُرَّة العَين، وهذا من أعظم أسباب حِماية العبد من القَلق والتشتُّت والضِّيق والضجَّر والخوف وقتَ حُلول الفِتَن.

ولقد كانَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فزَعه أمرٌ فَزِع إلى الصلاة يقول: [**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**][1].

ومما يُعين على ذلك الاقتِصارُ على الصُّحبَة الصالحة، فيَعتزل كلَّ الفِرَق المشارِكة في الفِتَن، وعليه بخاصَّة نفسِه ومَن هو على شاكِلته، كما أجاب النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين سأله: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟» **قَالَ: [فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ]**[2].

(١) أخرجه أبو داود، ح (٤٩٨٥)، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري، ح (٣٦٠٦)، ومسلم، ح (١٨٤٧).

وكما قال أهلُ العِلم: « احذَروا من الناس صنفَين، صاحبَ هوًى قد فَتَنَه هَواهُ، وصاحبَ دُنيا أعمَتْهُ دُنياه ».

فالصُّحبة الصالحة هي خير عَون للعبد ـ بعد الله عَزَّوَجَلَّ ـ على الاستقامة، والاستفادة من الوقت، والنَّجاة من الفِتَن. وركعتين في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها.

هذا بجانب ما يُحدِثه الصيام من تَرويح للنفس وتَهذيب لها، وصفاءٍ للروحِ ورِقَّة في القلب وصِدق في الدعاء وهكذا ما تُحدِثه الزكاة والصدقة من الطُّهْر والنقاء والتزكِية.

- فللعبادَة أعظمُ الأثَر وقتَ الفِتَن، وخاصَّة الانشِغال بالله عَزَّوَجَلَّ، وتجنُّب الناسِ أربابِ الفِتَن.

عاشرًا:- البُعد عن مواطِن الفِتَن وعدم المشاركة فيها، أو العمل على إيقاظها، فالفِتْنَة نائمة مَلعون مَن أَيْقَظَها.

وكان من دُعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**](١).

وهذا أخطرُ ما في الفِتْنَة أن يقعَ المَرء في تبديل أمور دِينه، أو يتغيَّر حالُه من قوة الإيمان والثَّبات إلى ضعفه ورِقَّته، والرِّدَّة والانتِكاسَة، وما أكثرَ ذلك وقتَ الفِتَنِ!.

ومعنى الفِتْنَة: غَيبة الحق، أو التِباس الحقِّ بالباطل، أو فِتْنَة الباطل بكَثْرَة أتباعه وأملاكه.

(اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَلْهِمْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَأَلْهِمْنَا اجْتِنَابَه).

(اللَّهُمَّ احْفَظْنا من الفِتَن، ما ظَهَر منها وما بطَن).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي، ح (٣٢٣٣)، وصحَّحه الألباني.

وبعدُ.. فهذه عَشَرةُ أمور تَحمي العبد ـ بفضل الله تَعالَى ـ من الاغتِرار والانخِداع والغَفلة عمَّا بقي مِن أجَلِه، وتجعله على بَصيرة من أمر دينه ودنياه، وتَحفظه من الفِتَن، سواء فِتن الشُّبُهات في العقول، أو فِتن الشَّهَوات في الأجساد.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فلما دخل أكثرُ الناس في هاتَين الفِتْنَتَيْنِ (الشُّبُهات والشَّهَوات)، أو إحداهما أصبحوا متقاطِعين متباغِضين بعد أن كانوا إخوانًا متحابِّين مُتواصلين، فإنَّ فِتْنَة الشَّهَوات عمَّت غالب الخَلق ففُتِنوا بالدنيا وزهرتِها وصارت غايةَ قصدِهم، لها يَطلبون، وبها يَرضون، ولها يَغضبون، ولها يُوالون، وعليها يُعادون، فتقطَّعوا لذلك أرحامهم، وسفَكوا دماءَهم وارتكَبوا معاصيَ الله بسبب ذلك »[1].

(١) كشف الكربة في وصف حال الغربة، لابن رجب الحنبلي، ص (٤٧).

• فالشَّهَواتُ والشُّبُهاتُ من عَوائِقِ التوحيد، فمَن سَلِم من الشَّهْوَة وقع في الشُّبْهَة، كحال أهل البدع والأحزاب والفِرَق، ومَن سَلِمَ مِن الشُّبْهَة وقع في الشَّهْوَة، كحال فسَّاق أهل السُّنَّة، ومن سَلِمَ من الشُّبْهَة والشَّهْوَة فهم أهل الله وخاصَّتُه، ومَن لم يَسْلَم مِن الشُّبْهَة والشَّهْوَة فهو من شياطين الإنس، أهلِ الشيطان وخاصَّتِه، الذين ما عندَهم إلا التَّهْميشُ والغَيظُ والحسَدُ.

فالبصيرةُ واليَقظة تجعلُه يفِرُّ بدينه من الفِتَن، ويتوقع وقوعَها ومجيئَها، والعالِمُ المبصِر يعرِف الفِتَن قبلَ وقوعِها، والجاهِل الذي تاه في دنياه ودينه يَعلم بها بعد رحِيلها.



◘ ماذا تفعل إذا اقترب أجلك وتقارب الزَّمان وكثرت الفتن؟

إنه سؤال لابدَّ أن يَضعَه المسلم نَصب عينَيه، وألا يَغفل أو يتغافَل عنه. حيث إن نجاتَه وتحديد مصيره مَوقوف على الاستفادة مما بَقِي من أجَلِه، وتبقَّى من عمره.

والمؤمن كما وصفه الله تَعالَى لا يرضَى عن الجَنَّة بديلًا، ولا يُحوِّل بصره عنها أبدًا.

قال الله تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴿١٠٨﴾﴾ (الكهف).

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ تَنْبِيهٌ عَلَى رَغْبَتِهِمْ فِيهَا، وَحُبِّهِمْ لَهَا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يُتَوَهَّمُ فِيمَنْ هُوَ مُقِيمٌ فِي الْمَكَانِ دَائِمًا أَنَّهُ يَسْأَمُهُ أَوْ يَمَلُّهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا الدَّوَامِ وَالْخُلُودِ السَّرْمَدِيِّ، لَا يَخْتَارُونَ عَنْ مُقَامِهِمْ ذَلِكَ مُتَحَوَّلًا وَلَا انْتِقَالًا وَلَا ظَعْنًا وَلَا رِحْلَةً وَلَا بَدَلًا »(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٠٤).

◘ وفي الأخير:

هذا ما أردتُ الإشارةَ إليه، والتنبيهَ عليه في هذه الموعِظة القَصيرة، سائلًا ربي عَزَّوَجَلَّ أن يرزُقنا حُسن الخاتمة، وحُسن العمل، واتِّباع السُّنَّة، وإخلاصَ النيَّة والوِقاية من الفِتَن.

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ **(الذاريات)**.

• فهذه **تذكرةٌ** لي أولًا بالأصل الذي خُلِقتُ منه، وإليه أعودُ، وبالغاية التي من أجلِها خلقني الله عَزَّوَجَلَّ، وبالوسيلة إلى تلك الغاية السَّاميَة الرفيعة.

• **تذكرةٌ** بالحقيقة التي لا مَفرَّ منها كي نعملَ ونحرِص ونهتمَّ، ويكون همُّنا ودعاؤنا بحسن الخاتمة، [**فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة فَيَدْخُلُ الجَنَّة**][(١)].

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٣٣٢٣)، ومسلم، ح (٢٦٤٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**][(١)].

• **وتبصرةٌ** لما نحن فيه من نَزعِ البَرَكة من الوقت، وتقارُب الزَّمان، لِنَعِيَ فائدة انقِضاء الأيام التي تَطوي الأعمار طيًّا، فالليلُ والنَّهار مَطِيَّتانِ يُقرِّبان كل بعيد، ويُبليان كل جديد، ويُفنِيان كل موجود، فَلْنُحسِنِ السَّيرَ عليهما. ولْنعلَمْ بأنَّ كلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ لا مَحالة.

• **وتذكرةٌ** بالفِتَن التي تلاحِق الناسَ آخِرَ الزَّمان حتَّى يُبَصِّرَنا الله تَعالَى بالمَخرج منها، فإليه وحدَه المرجِعُ والمصيرُ، وإليه يُرجَع الأمر كلُّه، فاعبُدَهُ وتوَكَّلْ علَيه.

وصلِّ اللهُمَّ وبارِك على النبيِّ محمَّدٍ وعلى آلهِ وصَحْبه، وعلى كلِّ مَن تَمسَّك بسُنَّته، واتَّبع نَهجَه، ووالاهُ إلى يوم الدِّين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٦٠٧).

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

* **صدر للمؤلف:**

- الديمقراطية في ميزان الشرع.
- كنوز السعادة.
- القاموس الممتع للحياة الزوجية.
- الحجاب في ميزان الشرع.
- حتى لا تغرق السفينة.
- اعرف نبيك والحق به.
- لماذا الصوم نصف الصبر؟
- هم العدو فاحذرهم (المنافقون).
- أهل مصر بين الضيافة والأصالة.
- فرقة الخوارج.. قديمًا وحديثًا.
- فن إدارة الوقت.
- سلسلة: قصص القرآن دروس وعبر.
- سلسلة: نحن أولى بموسى منكم.
- سلسلة الفتن والملاحم وأشراط الساعة.
- سلسلة طوِّر نفسَك وغيِّرْ نمطَ حياتِك.
- التدبر والتفكير في رفض الغلو والتكفير.
- كيف تقلع عن التدخين خلال ساعة؟
- أضرحة الأولياء في ميزان الإسلام.
- تجديد الدين وتطوير الخطاب الديني.
- الربا بين ضرورات العصر ومتطلبات النصر.
- هموم المرأة المسلمة وأثرها في الحياة.
- شخصية المسلم من خلال سورة الفاتحة.

❁ ❁ ❁